المرأة

ذلك الكيان المجهول

بقلم : سيد عدنان الدرازي

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٢٣
ترخيص رقم :(٧١)

المــــرأة

ذلك الكيان المجهول

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٠١٠/٤

دمسم

المــرأة

ذلك الكيــان المجهــول

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٢٣
ترخيص رقم :(٧١)

سيد عدنان الدرازي

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

«الإهداء»

ـ إليك يا أم المؤمنين خديجة الكبرى. .

ـ إليك يا أم الأئمة فاطمة الزهراء. .

ـ إليك يا أم المصائب زينب الحوراء. .

ـ وإلىٰ كل امرأة رسالية.

أهدي هذه السطور.

«تمهيد»

تعتبر هذه الفصول الخمسة محاولة متواضعة لتبين أهم معالم شخصية المرأة، التي يجهلها الكثير من الناس وعلى الأخص الغرب الكافر، والشرق المنحرف عن تعاليم النظام الإسلامي..

الجهل الذي جعلهم يسيؤون فهم هذه الشخصية فتجرأوا عليها وميّعوا شخصيتها وكيانها تحت شعارات زائفة كالحرية والتقدم والتمدن والتحضر..

ولكي تتضح هذه الشخصية بجلاء ركزت على

أهم الجوانب في شخصية المرأة، وبحثتها باختصار واقتضاب، لأعطي القارىء الخلاصة والمختصر النافع مبتعداً عن الأطناب الممل وآخذاً بكلمة أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه:

«خير الكلام ما قل ودل».

وآمل أن أكون قد وفقت لايضاح أهم معالم شخصية المرأة، وأرجو أن يتقبل الله مني هذا المجهود المتواضع. .

سيد عدنان الدرازي

٢١ ـ محرم ـ ١٤٢١ هـ

الدراز ـ البحرين

الفصل الأول

المرأة في التاريخ

- سبع نظريات في المرأة..
- المرأة عند بعض الأمم والجماعات البشرية.

«المرأة في التاريخ»

قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء**﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

* * *

في البدء كانت الكلمة، وكانت حلقة وصل بين جميع الناس يتفاهمون بها ويتعارفون بها. .

وما أجمل أن يسخر الكاتب قلمه ليكتب الكلمة الصادقة عن المرأة ككيان. . ومشاعر. . وأحاسيس. .

استهللنا حديثنا بآية وهي قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا..**﴾ الآية..

وإنما أتينا بها لموضع الشاهد فيها.. وهو قوله تعالى: ﴿**وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء**﴾.

إذ يعني هذا المقطع من الآية الكريمة، أموراً تختص بالمرأة من قرب، وزاوية قريبة إلى شخص المرأة..

قائلة ـ أي الآية ـ: أيها الرجال لا تحسبوا أن المرأة هي مخلوق منفصل عن الرجل وليس له ما للرجل من أحاسيس، ومشاعر، وكيان بل هي جاءت مع الرجل وجاء الرجل معها..

كلاهما له كيان، كلاهما له أحاسيس، كلاهما له مشاعر.. جاءت الآية لتقول لنا: إن البشر متوالد من زوجين:

ألف: ذكر..

باء: انثى..

ومنهما انتشرت الملايين جيلاً بعد جيل.. لا كما ذهب إليه الفخر الرازي في تفسير هذه الآية المباركة حيث قال بالحرف الواحد:

«إن وصف الرجل بالكثير ـ في الآية ـ دون النساء للتبيين على أن اللائق بحال الرجل الاشتهار والبروز واللائق بحال النساء الخفاء والخمول».

ويقول عالم من علمائنا المفسرين: «إن دل هذا التعليل على شيء فإنما يدل على أن الرازي حكم على طبيعة المرأة بما تستدعيه تقاليد المجتمع الذي يعيش فيه.. وبديهة أن هذه التقاليد تتغير وتتحول بحسب مقتضيات الزمن، فمن الخطأ أن نأخذ منها مقياساً عاماً، وقاعدة مطردة».

وبكلمة واحدة أقول: إن الآية جاءت لتثبت حقيقةً، لا مندوحة للتباعد عنها وعدم الاعتراف بها، وهي أن المرأة مخلوق كما أن الرجل مخلوق، فلا شك أن لها حقوقاً وعليها حقوق كما للرجل حقوق وعليه حقوق.

وإذا سلمنا بتعليل الفخر الرازي.. في أن اللائق بحال النساء الخفاء والخمول، فسنكون في عداد الذين ظلموا المرأة على مر التاريخ وتنكروا لها، والذين سنتعرض لآرائهم في المرأة ونظرياتهم المنحرفة بالرد عليها.

وهنا ـ وفي هذا الفصل الأول من الكتاب ـ أتعرض أولاً لبعض النظريات وثانياً أرد عليها، ثم بعد ذلك أتعرض لحال المرأة عند الأمم والجماعات البشرية عبر التاريخ الإنساني.

سبع نظريات في المرأة:

الأولى تقول:

«إن المرأة خلقت من أصل أدنى من الأصل الذي خلق منه الرجل.. وإنها مخلوق ثانوي خلقت من ضلع آدم الأيسر» الرد على هذه النظرية:

يصرح القرآن الكريم في آيات متعددة بوحدة الطبيعة التكوينية للجنسين ومن جملة الآيات قوله تعالى في الآية التي صدّرنا بها البحث:

﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها**﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

وقوله تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها**﴾ [سورة الروم: الآية، ٢١].

وهذا التصريح يدل دلالة واضحة أنه ليس في

القرآن الكريم أثر لما في بعض الكتب المقدسة، من كون المرأة قد خلقت من أصل أدنى من الأصل الذي خلق منه الرجل، أو أنها مخلوق ثانوي خلقت من ضلع آدم الأيسر، إضَافة لذلك ليس في النظام الإسلامي نظرية مهينة بشأن الطبيعة التكوينية للمرأة..

الثانية تقول:

«إن المرأة عنصر الجريمة والذنب، ينبعث من وجودها الشر والوسوسة، فهي الشيطان الصغير..».

الرد على هذه النظرية:

أن القرآن قد عرض حكاية آدم في الجنة، إلا أنه لم يشر إطلاقاً إلى غواية الشيطان لحواء، بغية أن تغوي آدم عليه السلام..

فلم تكون حواء عليها السلام هي المسؤول الأصلي كما لم تكن خارج دائرة المسؤولية. . وهذا ما نعيه من قول تعالى: **﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة. . ﴾** [سورة الأعراف: الآية، ١٩].

وشيء آخر أن القرآن حينما يأتي على حديث وسوسة الشيطان يستخدم ضمير التثنية ليحمّلهما ـ آدم وحواء ـ معاً مسؤولية الوقوع في شراك غواية الشيطان الرجيم، يقول القرآن:

﴿فوسوس لهما الشيطان. . . ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٠].

ويقول:

﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين. . ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢١].

ويقول:

﴿فدلاّهما بغرور. . ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٢].

وفي هذا المضمار، فقد قارع القرآن نهجاً من التفكير كان سائداً آنذاك، ولا يزال يعشعش في بعض زوايا عالمنا المعاصر. . .، ودفع عن المرأة الاتهام، بأنها عنصر الذنب والجريمة، وأنها الشيطان الصغير. . .

الثالثة تقول:

«إن المرأة لا تدخل الجنة لأنها عاجزة عن طي مراحل الرقي المعنوي والإلهي، فهي عاجزة في النهاية عن الوصول إلى درجة القرب الإلهي».

الرد على هذه النظرية:

إن القرآن المجيد صرح في أكثر من أية، أن الثواب الأخروي وبلوغ القرب الإلهي لا ينحصر بجنس خاص وإنما هو رهن الإيمان والعمل سواء أكان بالنسبة إلى الرجل أو المرأة، فقد قرن ذكر

الرجال العظام بذكر إحدى النساء الشامخات، وقد وقف بإجلال لامرأة آدم وإبراهيم وأم موسى وعيسى.. ويجدر بنا أن نذكر هذه الآية المباركة كشاهد على قولنا إن الثواب الأخروي وبلوغ القرب الإلهي لا ينحصر بجنس دون آخر.. وهي قوله تعالى: ﴿**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى..**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩٥].

الرابعة تقول:

«إن العلاقة الجنسية بالمرأة علاقة منحطة وبالتالي فالمرأة شيء منحط دنيء..».

الرد على هذه النظرية:

إن الإسلام قارع وحارب هذه النظرية السخيفة بشدة، واعتبر الزواج ارتباطاً مقدساً، والعزوبة ظاهرة منحطة وطرح ظاهرة حب المرأة بوصفها إحدى خصال الأنبياء الخلقية.

«من أخلاق الأنبياء حب النساء».

وقد قال النبي ﷺ: «أحب من دنياكم ثلاثا.. الطيب والنساء وقرة عيني الصلاة».

ويقول القرآن مرغباً في الزواج كسلوك سوي:

﴿**وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم..**﴾ [سورة النور، الآية: ٣٢].

الخامسة تقول:

«إن المرأة وسيلة بيد الرجل وإنما خلقت لأجله».

الرد على هذه النظرية:

إن النظام الإسلامي لا يعترف على الإطلاق بهذا المفهوم.. فهو يصرح بأن سائر المخلوقات من أرض وسماء وغيرها، إنما خلقت لأجل الإنسان، ولو أنه يعترف بهذه النظرية لصرح ولو مرة واحدة أن

المرأة مخلوقة مسخّرة للرجل.. وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٧].

السادسة تقول:

«إن المرأة بلاءٌ لا بد منه بالنسبة للرجال».

الرد على هذه النظرية:

إن الإسلام والقرآن يعتبر المرأة بالنسبة للرجل سكناً له وطمأنينة.. وهذا ما نعيه من قوله تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾ [سورة الروم: الآية، ٢١].

السابعة تقول:

«إن حصة المرأة من الأبناء لا قيمة لها، بل هي وعاء لنطف الرجال، التي تستبطن البذر الأصلي للإنجاب حتى قال شاعرهم ـ أي أصحاب هذه النظرية ـ:

وإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء أبناء

الرد على هذه النظرية المغرضة:

أن القرآن الكريم وضع نهاية لهذا الطراز من التفكير المتحجر والمتخلف، حيث ذهب إلى القول: إن الأبناء ينجبون بواسطة الرجل والمرأة معاً وإنهما صناع الحياة وهذا مانعيه من قوله عز اسمه:

﴿فلينظر الإنسانُ ممَ خُلقَ، خُلق منْ ماءٍ دافق، يخرج من بين الصلب والترائب﴾ [سورة الطارق، الآية: ٥ ـ ٧].

وبعد استعراض هذه النظريات المغلوطة والرد عليها، ننتقل إلى معرفة حال المرأة عبر التاريخ والعصور...

المرأة عند بعض الأمم والجماعات البشرية:

في عصر القبائل الوحشية، كانت المرأة في رتبة

الحيوان بل في مرتبة الجماد وهي عندهم كسائر الممتلكات، وليس الفارق بينها وبين الحيوانات سوى أنهم يريدون أن يرفعوا بها ضرورة الشهوة الجنسية بخلاف الحيوانات الأخرى، فإنها لا تؤمن لهم هذه الإرادة، وليس هناك فرق آخر وراء ذلك فهي عندهم مثل أثاث المنزل تباع وتشْرى فإن قيمتها عند اليونان لا تزيد عن خمسين رطلاً من الشعير. . وفي أفريقيا يبادل بها الغنم ويوضع عليها النير لتحرث الأرض بدل البقر ومع البقر، وإذا أعطيت لزوج فإن صورة العقد عليها هكذا:

«هذه مملوكتك في يدك، فإذا لم توافق رأيك لك الخيار في أن تبيعها أو تذبحها لتأكل لحمها أو تبيعه. . ».

وهذا إيجاب بدون قبول ـ كما تعلم ـ وليس لها الحق أن تدافع عن نفسها وإذا عملت أدنى جريمة

رُبطت بالشجرة لتنزل على جسدها سياط العذاب أينما وقعت منه..

وفي كلدة وآشور إذا أخطأت في تدبير المنزل بإسراف أو تبذير، ورفعت جنايتها هذه للقاضي حكم عليها بأن تغرَّق بالماء حية..

وفي بعض طوائف الهند ليس من حقها أن تساكن زوجها في المسكن وليس لها مسكن ولا تأكل مع الرجل ولو كان ولدها، ولا تعطى من المآكل النفيسة مثل اللحم والسمن والفاكهة.

المرأة في الهند:

أما في الهند فقد اتسمت معاملتهم للمرأة بطابع آخر فيه تعدٍ سافر على حياتها، حيث لم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها بل يجب أن تموت يوم

موت زوجها وأن تحرق معه وهي حية في موقد واحد.

في اليونان:

فقد كان من معاملتهم وسلوكهم مع المرأة، أنها إذا لم تحمل من زوجها الشرعي فإن له الحق في أن يعيرها من آخر لتنسل منه.. وفي إيران القديمة نفس الشيء بالنسبة لحرمانها من الحقوق والأرث (وزادوا نغمة على الطنبور) فأوجبوا تزويج المحارم بأهاليهم، والإخوان بالأخوات والأمهات بالبنين، إذا مات الوالد ليحفظوا بهذا العمل النسب والدم كذا سولت لهم أنفسهم..

في الصين:

لم يكن للمرأة أن تتزوج بعد موت الزوج ولو

كانت في ريعان الشباب، أما هو فله الحق أن يتزوج بأكبر عدد من النساء وبدون فاصلة . .

عند العرب في الجاهلية:

لم يكن العرب في الجاهلية وقبل بزوغ فجر الإسلام ينظرون إلى المرأة بأحسن مما كان ينظر إليها من سبقهم من الأمم، بل قد امتهنوا المرأة واعتبروها شؤماً في حياتهم، وحجراً في طريق تقدم الرجل ورقيِّه، فهي ممنوعة من الإرث وليس لها في زواجها شيء، بل كانت بعض الطوائف تعتبرها إرثاً كبقية ما ينقل من الميت إلى الورثة، وكان ذلك يختص بالولد الأكبر، فله أن يتزوجها أو يزوجها ممن يشاء أو يعضلها عن الزواج، ويبقيها إلا أن تفتدي نفسها بالمال . .

وبالاضافة إلى هذا كانت حقوقها مهدورة

وكرامتها ضائعة والمجتمع لا يعترف بإنسانيتها، وكثيراً ما كان يتألم العربي إذا بشر بمولودة أنثى بل ويقتلها وهذا ما نعيه من القرآن حيث يقول: ﴿**وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بُشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون**﴾ [سورة النحل، الآية: ٥٨].

وقوله: ﴿**وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم**﴾ [سورة الزخرف، الآية: ١٧].

الفصل الثاني

المرأة في ظل النظام الإسلامي

- كلمة قصيرة..
- المرأة والإسلام..
- المرأة في القرآن..
- المرأة في كلام المعصوم.

«المرأة في ظل النظام الإسلامي»

كلمة قصيرة:

في الفصل الأول تناولنا نبذة مختصرة وموجزة عن بعض النظريات نحو المرأة، وكذا ذكرنا شيئاً يسيراً عن حالها عند بعض الأمم. .

ونستأنف في هذا الفصل طرح شيء عن حال المرأة في ظل النظام الإسلامي. . فإلى هذه الأسطر التي تفوح منها رائحة تحرير المرأة من القيود والأغلال التي كبلتها بها الأمم الجاهلية والمدنية الزائفة. .

المرأة والإسلام:

سنوات وأعوام وفترات زمنية من عمر التاريخ عاشت فيها المرأة تتلقى الإهانات وتتلقى الإذلال بمختلف أنواعه.. شر، وشيطان، ورجس ونجس وآلة خلقت للرجل.. وأقوال أخرى سخيفة.. وماذا بعد ذلك إلا جعل المرأة مخلوقاً لا دور له في المجتمع إلا مجرد وعاء يضع فيه الرجلُ ماءه، أو سلعة.. تباع وتشترى كالبهائم في سوق النخاسين..

سنوات طويلة كانت الضربات توجه فيها إلى ذلك الكيان الرقيق والمخلوق اللطيف والجنس الناعم.. وفجأة ومن دون سابق إنذار.. جاء دين جديد وجاءت أيديولوجية جديدة مصدرها السماء وطريقها إلى الأرض.. وهذه الأيديولوجية تحمل قيماً وتحمل مبادىء، تقول للإنسان: **﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾**... وتقول للإنسان: **﴿لقد جاءكم**

رسولٌ من أنفسكم..﴾.

وتقول للإنسان بخطاب الجليل تبارك وتعالى: **﴿إني لا أضيع عمل عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أنثى بعضكم من بعض﴾** [سورة آل عمران، الآية: ١٩٥].

فالرجل يعمل والمرأة تعمل، ولكل واحد أجره عند ربه.. فلا الرجل يقول أنا أفضل ولا المرأة تقول أنا أفضل إذ كلٌّ واحد منهما تربطه بالآخر علاقة البعضية بعضكم من بعض..

جاء هذا النظام الإسلامي ليكون بديلاً للأنظمة التي سيطرت على الحياة الاجتماعية.. لقد طرح السلبيات وجاء بالبدائل..

فمن سلبيات البشرية ومن سلبيات الإنسانية، أنها كانت تنظر إلى المرأة ـ كما أسلفنا في الفصل الأول ـ بنظرات ملؤها الازدراء والسلبية والدونية والثانوية.. فجاء النظام الإسلامي ليقيم حلاً لهذه

المشكلة واضعاً بديلاً لمعاملة المرأة السابقة فقال: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم﴾ فلم يقل يا أيها المسلمين، ولم يقل يا أيها الذين آمنوا ولم يقل يا أيها اليهود أو يا أيها النصارى..

وإنما قال يا أيها الناس.. يعني يا من تحملون صفات الإنسانية وطبائع الإنسانية ومميزات الإنسانية.. لماذا كل هذا الاحتقار والازدراء والنظريات السلبية للمرأة؟! فلا داعي لكل هذا.. فالرجل والمرأة أصلهما واحد، نفس واحدة توالد عنها عنصران، عنصر الذكر، وعنصر الأنثى. وكلاهما توالدت منه الأجيال وصدرت منه البشرية، والمجتمعات، والأمم والشعوب...

ويقول القرآن أيضاً والإسلام: إن لكل واحد من الرجل والمرأة حقوقاً وواجبات.. فلا يحسب البعض أنه لا مسؤول وأنه لا محاسب.. على كل

مسؤوليته ولكل حسابه.

وفي هذه الأسطر نتناول بعض النقاط عن مُعاملة المرأة في الإسلام بغية المساهمة في رفع الوطأة القاسية التي عانت منها المرأة ولا زالت.

أولاً: المرأة في القرآن:

القرآن ككتاب حياة ومصدر تشريع ونبراس هداية؛ لا يفوته أن يتضمن شيئاً من الآيات التي تساهم في رفع شأن المرأة، من الحضيض إلى حياة المساواة والتقدير والاحترام.

وكم كان موقف تلك المرأة المؤمنة (أسماء بنت عميس) جميلاً وهادفاً عندما رجعت من هجرة الحبشة، هجرة المقاومة للطاغوت المتمثل في أذى قريش.. رجعت من الهجرة وكانت تحمل تجارب

ودروساً من حياة الهجرة والبعد عن الوطن والغُربة . .

جاءت راجعة وهي تحمل في ذهنها علامات استفهام كبيرة؛ كانت تريد أن تطرحها على النبي الأكرم ﷺ وما أن وصلت وإذا بها تدخل على نساء النبي ﷺ وتتحدث بحديث المؤمنات الرساليات قائلة:

هل نزل فينا ـ نحن النساء ـ شيء من القرآن؟!.

وإذا بنساء النبي ﷺ يقلن لها: لا . . . !.

لا لم ينزل فينا شيء من القرآن.. لا لم يقل فينا الله عز وجل شيئاً؟!.

فما كان من هذه المرأة إلا أن ذهبت للنبي ﷺ لتصوغ سؤالها بصيغة أخرى فتقول: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار. . !.

فبدت على وجه النبي ﷺ علامة التعجب

وعلامة الاستفهام فقال: وممّ ذلك؟!.

وعندها انتهزت (أسماء) الفرصة لطرح سؤالها على القائد الأعلى وولي أمر المسلمين ومبلغ رسالة رب العالمين.

قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال..!!.

فكانت هذه الكلمة ذات وقع وثقل كبير على السماء؛ فقد اهتزت لها السماء وأنزلت آية صاغها البَاري تبارك وتعالى تقول:

﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات، والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات، والحافظين فروجهم والحافظات

والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٥].

وكانت هذه الآية بمثابة هدية ومنحة من السماء ـ للمرأة ـ وبمثابة حزمة من الأضواء المشعة مركزة على شخصية المرأة، لتبدو للمجتمع مخلوقاً، ولتبدو للمجتمع إنساناً، ولتبدو للمجتمع شيئاً له قيمة وله كيان وله وزن على مسرح الحياة..

مسلمة..، مؤمنة..، قانتة..، صادقة..، صابرة..، خاشعة..، متصدقة..، صائمة..، حافظة لفرجها..، ذاكرة لربها.

كل هذه المواصفات إذا توفرت في المرأة فهي ذات قيمة وذات ثقل وذات وزن.. هذه المواصفات تعني بالنسبة للمرأة مقياس تفاضل متى ما حافظت عليها. والتزمت بها..

الإسلام: أن تكون واعية به وبتعاليمه..

الإيمان: أن تكون موطنة قلبها ومعتقدة بما تلهج به من كلمات التوحيد والإجلال لله سبحانه وتعالى..

والقنوت: أن لا تقطع صلتها بالسماء، بل تبقى على صلة دائمة ووثيقة بها، تردد الكلمة التي تفوح منها رائحة التمجيد والتحميد والتسبيح والدعاء من قلبها الصافي نحو السماء.. فالدعاء الخارج من القلب لن يضل الطريق إلى الله تعالى..

والصدق: فتجعل سجيتها وعادتها أن تكون ذات لهجة، ولسان صادق لا يعرف الخداع ولا الكذب، ولا الغيبة ولا البهتان، ولا اللغو بشتى صنوفه ومصاديقه..

والصبر: أن تتحلى به وهي تعبد الله تعالى.. أن تتلبس به وهي تواجه أمامها مجتمعاً يحمل سلاح

التفسخ والانحلال والخلاعة والمجون والميوعة..
تبقى صابرة وهي تطبق تعاليم السماء..

والخشوع: أن تعيش الخضوع والتذلل لله تعالى لا للشرق ولا للغرب بأفكاره المنحرفة عن الدين الإسلامي..

والتصدق: أن تسعى لرفع كابوس الفقر والفاقة عن الوجوه التي تفترش الأرض وتلتحف السماء.. وأن تتصدق بالكلمة الصادقة وبالجهاد المقدس على صعيد المجتمع ومسرح الحياة..

والصوم: تقوم بتأديته كفريضة واجبة من الفرائض الإسلامية بإخلاص. أن تصوم عن الطعام والشراب.. وكل شيء يمس بالصوم من معصية وانحراف..

وتحفظ فرجها: بالعفة والنزاهة واختيار الزوج

المناسب، وبالحجاب حجاب الصون والعفاف.. وبالابتعاد عن مواطن الشبهة، وبمقاطعة أزياء المجون والتفسخ والانحلال..

وذكرها الله: أن تحافظ على صلواتها وأن لا تنسى أن تجعل لسانها يَلهج دائماً وأبداً بذكر الله تبارك وتعالى.. فإذا حفظت، وحافظت على هذه المزايا العشر فازت بمغفرة ربها وحصلت على المكافأة الإلهية الكبرى وهي الأجر العظيم.

ثانياً: المرأة في كلام المعصوم:

وكما في القرآن آيات تختص بالمرأة وتعنى بشأن المرأة كذلك في كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار كثيرٌ من التوجيهات التي تمت إلى المرأة بصلة ومن هذه الكلمات: .

١ ـ تارة يسميها النبيّ ريحانة بقوله: «المرأة ريحانة...».

٢ ـ وتارة أخرى يعتبرها قرينة الإيمان بقوله: «**كلما ازداد العبد إيماناً ازداد حباً للنساء**».

٣ ـ وأخرى من أحب ما يحب الرسول ﷺ من الدنيا وهذا ما نعيه من قوله: «**ما أحب من دنياكم إلا النساء والطيب**» وكذلك أهل بيته عليهم السلام جاءت عنهم كلمات لها صلة بشأن المرأة وتجعلها في قمة الرقي منها: .

١ ـ قول الصادق عليه السلام : «كل من اشتد لنا حباً اشتد للنساء حباً».

ويلاحظ من كلمة الصادق عليه السلام هذه أمران:

الأول: أن حب النساء علامة وميزة تكون في المؤمن دليل على أنه يحب خط أهل البيت عليهم السلام

ويسير في ركابهم.

الثاني: أن حب النساء والشعور بأن لهن وزن وقيمة، من ضرورات الإيمان ومن لوازمه.

٢ ـ كلمة أخرى للصادق عليه السلام ينقلها صاحب الفقيه قال: «اتقوا الله في الضعيفين... (يعني بذلك اليتيم والنساء)...».

وإن في هذه الكلمة لتوصية عظيمة من الأئمة عليهم السلام لنا بالمرأة.. إذ وصفها الإمام عليه السلام بالضعف.. البدني.. والإرادي.. والعقلي.

وبالطبع لا يعني الإمام عليه السلام بهذا الضعف الإهانة للمرأة بل إنما هو مكرمة للمرأة ورأفة لها من قبل الله عز وجل حيث جعلها ضعيفة من هذه النواحي...

* * *

الفصل الثالث

المرأة فتاة

- كلمة قصيرة..
- الفتاة مولود جديد..
- الفتاة تحت مظلة التربية..
- توجيهات للآباء والأمهات..

«المرأة فتاة»

كلمة قصيرة:

لما كان الإنسان هو المقصود من خلال النداءات الربانية في دعوات الأنبياء منذ مجيء آدم عليه السلام حتى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فإذن، لا بد أن تشمل هذه النداءات الجنس الآخر من النوع الإنساني وهو الإناث، بدليل قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء**﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

ولـذلـك لـم تحـظ الفتـاة فـي مقـام رعـايتهـا والاهتمام بأمرها في التشريعات والديانات الأخرى كما حظيت به في الإسلام، وهو الذي أكد مبدأ المساواة الإنسانية بين الرجل والمرأة من حيث الحقوق، والواجبات وإن اختلفت في بعض الأحيان. ولمعرفة شيء عن معاملة الدين الإسلامي للمرأة كفتاة، نذكر في هذه الأسطر بعض النقاط والأمور التي توضح عن كثب مدى رعاية الإسلام للمرأة في مرحلة الفتوة ودور الصبا وما هو البرنامج المطلوب تقديمه من النظام الإسلامي لرعايتها في هذا السن الحساس والحرج، والذي له تأثير كبير على شخصية الفتاة..

الفتاة مولود جديد:

إن اللحظات الأولى من عمر الإنسان وحياته

وولادته.. لها أهمية كبيرة بالنسبة لمستقبله وحياته التي سيعيشها على ظهر البسيطة.

ولا يختلف الذكر عن الأنثى بالنسبة لهذه اللحظات.. حيث أكد العلم الحديث أن أي طفل إنما تتحدد معالم شخصيته في المستقبل خلال الخمس السنوات الأولى والتي تبدأ من أول لحظة يخرج فيها الطفل من بطن أمه..

وقد انتهز الدين الإسلامي الحنيف هذه اللحظات ليضع فيها البرنامج المناسب الذي ينبغي أن يطبقه المسلم الرسالي عندما يرزق بالمولود. ويدعو الإسلام والد الفتاة أن يؤدي لها مراسيم السنة، ويطبق البرنامج الذي يضعه الدين تماماً كما يفعل بالمولود إذا كان ذكراً..

وهذا البرنامج نجده في أحاديث وروايات أهل بيت العصمة صلوات الله تعالى وسلامه عليهم

وملخصه:

أولاً: يؤذن في أذنها اليمنى ويقيم في اليسرى..

ثانياً: يحسن تسميتها ويختار لها الاسم المناسب..

ثالثاً: أن يختار لها المرضعة المناسبة..

ولنأتِ على كل واحد من هذه الأمور، على حدة مع ذكر الرواية والحديث المستخلص منه..

أولاً: أن يؤذن في أذنها اليمنى ويقيم في اليسرى: وهذا يستفاد من أفعال المعصومين عليهم السلام وأقوالهم المستفيضة، فمنها على سبيل المثال:

واحد: أن الحسن عليه السلام لما ولد أتي به إلى جده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى...

اثنان: وجاء في الكافي عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من ولد له مولود فليؤذن في أذنه اليمنى بأذان الصلاة وليقم في اليسرى فإنها عصمة من الشيطان الرجيم».

ثلاثة: وفي الكافي أيضاً عن الصادق عليه السلام قال: «مروا القابلة أو بعض من يليها أن تقيم الصلاة في أذنه اليمنى فلا يصيبه لمم ولا تابعة أبداً».

ثانياً: يحسن تسميتها ويختار لها الاسم المناسب:

فقد ورد عنهم عليهم السلام روايات كثيرة تدل على اهتمامهم بهذا الموضوع ومن هذه الروايات:

واحد: عن السكوني ـ في الكافي ـ قال:

دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، وأنا مغموم مكروب، فقال عليه السلام يا سكوني مما غمّك؟.

قلت: ولدت لي ابنة!!.

فقال: يا سكوني على الأرض ثقلها وعلى الله رزقها، تعيش في غير أجلك ـ أي لا ينقص من عمرك لأجلها شيء ولا من رزقك ـ وتأكل من غير رزقك.

يقول السكوني: فسري والله علي.. أي كشف أبو عبدالله عليه السلام الغم علي..

فقال عليه السلام: ما سميتها؟!.

قلت: فاطمة..

فقال عليه السلام: آه.. آه.. (لتذكره جدته المظلومة عليها السلام وما أصابها من مكاره الدهر)..

اثنان: عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: جاء

رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما حق ابني هذا؟!.

قال ﷺ: «تحسن اسمه..».

ثالثاً: أنْ يختار لها المرضعة المناسبة:

ولما للرضاع من أهمية تذكر، لم يذهب عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أن يذكروا توصياتهم فيه فمن هذه، التوصيات:.

ألف: في الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام: ـ «ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة من لبن أمه..» ـ.

باء: وفيه: سأل علي بن جعفر أخاه موسى بن جعفر ـ صلوات الله عليهما ـ عن امرأة زنت هل تصلح أن تُسترضع؟ فقال عليه السلام: «لا تصلح ولا لبن ابنتها..».

جيم: وروي عن النبي الأكرم ﷺ قوله: «لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يعدي وإن الغلام ينزع إلى اللبن».

وقد تسأل: ما هي فائدة هذا البرنامج ومنفعته للفتاة وهي صغيرة لا تعي ما يدور حولها؟!.

والجواب:

١ ـ إن تلقين الفتاة بهذه الكلمات التي تتصف بصبغة التكبير والتوحيد والتهليل، تختلف عن سائر كلام البشر مما يجعلها ذات أثر كبير على شخصية الفتاة مستقبلاً في المجتمع الإسلامي، إذ تغرس هذه الكلمات في قلبها البذرة الأولى لحب العقيدة والمبدأ والدين الإسلامي منذ أول وهلة من حياتها..

٢ ـ وإن تحسين اسمها له عظيم الأثر على

شخصيتها إذ كما يقول النُحاة: الاسم هو ما دل على مسمى..

فضلاً عن أن التسمية: «من سنن الله تعالى، وقد سمى الله تعالى آدم وحواء يوم خلقهما، وعلّم آدم الأسماء كلها؛ وقد سار الناس على هذه السنة والسيرة..

فالتسمية لا بد منها عند البشر المتحضر، ولعل البشر المتوحش في الغابات بسبب ابتعادهم عن الحضارة لا يعرفون التسمية ولا يسمون...

وتختلف أسماء البشر على مر الأجيال والعصور وعلى اختلاف لغاتهم:

فقد توجد هناك مناسبة بين الاسم والمسمى، وقد لا توجد.. وقد يكون للاسم معنى في قاموس اللغة، وقد لا يكون له معنى بل هو اسمٌ مخترع ليس

من مادة لغوية».

وبكلمة واحدة.. إنما تسمى الفتاة باسم جميل كأسماء نساء أهل البيت ـ خديجة، فاطمة، زينب، ليلى، رباب ـ وكما مر علينا في رواية السكوني الذي أسمى ابنته بفاطمة.. ولا يخفى علينا عندما نقول باختيار الاسم الجميل ما هناك من فرق بين الاسم الجميل وبين الاسم القبيح السيء.. وكم فرق بين تأثر نفس صاحبة الاسم بهذا وذاك.. وكذا تأثر السامع للاسم فهذه امرأة عمران ولدت بنتاً فقالت: ﴿وإني سميتها مريم﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣٦].

٣ ـ وأما عن الرضاعة فإن الغذاء الوحيد الذي يتغذى به الطفل ويكون له عظيم الأثر في السنتين الأوليين من سني الطفل هو اللبن ولا يمكن أن يستعاض بغذاء آخر في أيام الطفل الأولى، فهو يكون له المساهمة الأولى والكبرى في بناء جسم الطفل

الحديث الولادة ويغذيه التغذية المناسبة . .

وكما رأينا في الحديث الوارد عن المعصوم عليه السلام الذي تعرضنا له في الأسطر السالفة، أن الروايات ذكرت مواصفات للمرضع ثلاث:

واحد: أن تكون أماً وذلك نعيه من قول أمير المؤمنين عليه السلام : .

ـ «ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة من لبن أمه . . » ـ.

وإذا رجعنا إلى كتب الطب نجدُ الحكمة في تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام لبن الأم على سواها. فقد جاء في كتاب غذاؤك ـ حياتك بالحرف الواحد: .

ـ «تكون الرضاعة طبيعية عندما يتغذى الوليد بلبن أمه، ولا شك في أن هذا النوع من الإرضاع هو أحسن أنواع الرضاعة على الإطلاق فلبن الأم هو

الغذاء الفيزيولوجي لطفل الإنسان..».

اثنان: أن لا تكون زانية ولا بنت زانية وهذا ما صرح به إمامنا الكاظم عليه السلام بقوله المتقدم ذكره:

«..لا تصلح ولا لبن ابنتها التي ولدت من الزنا..».

إذ أن اللبن يخرج من جسم المرضعة، فإذا كان هذا الجسم وخلاياه قد تربى من نطفة خرجت عن طريقة غير شرعية، أو ذر هذا اللبن عن طريق نكاح غير شرعي فماذا ننتظر من الوليد؟ ورحم الله الشاعر القائل:

لا عذب الله أمي إنها شربت ... حب الوصي وغذتنيه في اللبن

وصار لي والدٌ يهوى أبا حسن ... فصرتُ من ذي وذا أهوى أبا حسن

ثلاثة: وأن لا تكون المرضع تتصف بالحمق والغباء والرعونة وهذا ما أشار له النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

بقوله في الحديث المتقدم:

- «لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يعدي وإن الغلام ينزع إلى اللبن. .» -.

وهذا واضح من أن اللبن الخارج من الحمقاء يحمل خلاصة أخلاقها وميزاتها العقلية. . .

الفتاة تحت مظلة التربية:

بعد أن عرفنا البرنامج الذي وضعه الدين الإسلامي لمعاملة الفتاة عندما تولد، وفي أيامها الأولى وباكورة حياتها على الأرض، نستعرض تحت هذا العنوان شيئاً موجزاً عن تربية الفتاة بالتربية الإسلامية الصحيحة. .

وليس من نافلة القول أن يتكلم أو يكتب الكاتب شيئاً عن تربية الفتاة إذ أن للتربية من مردودات

إيجابية تظهر ثمارها عندما تكبر الفتاة وتصير أماً مربية لأبنائها فكيف تطلب منها تربية الأطفال والجيل الجديد وهي في الأساس غير مُربية وغير مؤدبة فكما قيل قديماً فاقد الشيء لا يعطيه..!!.

إن للتربية شأناً كبيراً وأهمية كبيرة يجب أن ينظر إليها الأبوان بعين الاعتبار ولا يتركان الحبل على الغارب..

فإذا لم يسارع الأب والأم في تربية البنت والفتاة فسيحل محلهما ويكون مكانهما المربي إما الشارع أو الإعلام المنحرف كالقنوات الفضائية والأنترنت وما شابه ذلك أو غير ذلك من الجهات وذلك لأن الفتاة تماماً كالولد الذكر.. تمتلك مجموعة من الغرائز والصفات والقابليات.. وهذه الغرائز والقابليات إذا لم توجه الوجهة الصحيحة والمناسبة فإنها لا شك ستنحرف عن فطرتها ودين

أبيها وأمها. . إذ كما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ :

ـ كل مولود يولد على الفطرة، إنما أبواه يمجسانه أو يهودانه أو ينصرانه».

وجاء عن أمير المؤمنين ﷺ : ـ «وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته. . » ـ.

ومن هنا نعرف الخطأ في من يكل التربية أو تربية فتاته الصغيرة إلى دور الحضانة والروضات غير الموثوقة. . ، أو شاشة التلفزيون التي تجمع بين تلاوة القرآن وأغاني الفسق والفجور وتجمع بين فلم الرسالة وأفلام الجنس المفضوح. .

عزيزي الأب عزيزتي الأم إنّ ابنتكما عندما تجلس وهي صغيرة طفلة تشاهد أفلام الرسوم المتحركة أتدرون ماذا تشاهد هي؟!.

الجواب:

إنها تشاهد فناً خطيراً يلعب دوراً كبيراً في إيصال المعلومات والأفكار إلى عقلية الطفلة البريئة الصغيرة المسكينة..

إن هذه الأفلام الكارتونية ذات الألوان الخَلابة الجذابة، قد صممت عندما صممت لأطفال غير أطفالنا، وبعقلية غير عقليتنا، وتشجع عادات وأخلاق لا نقر الكثير منها، ويكفي أن نتذكر الساعات الطوال التي يقضيها أبناؤنا وهم يتابعون مسلسل «باباي» البحار القائم على الصراع بين «باباي»، و «بلوتو» الذي يسعى دائماً الى اختطاف وامتلاك الحسناء الجميلة «أوليف أويل» «زوجة باباي» والذي ما زال يلاحقها ويشاكسها حتى ساعة كتابة هذه السطور..!!.

وعلى الرغم من الازدياد الكبير في عدد شركات الانتاج الفني العربية والتضخم الهائل في حجم انتاجها، فإننا لا نكاد نرى ونجد شركة عربية متخصصة بفن الرسوم المتحركة تخطط لبرامج هادفة للأطفال بعقلية عربية إسلامية ملتزمة..، وبقضايا الأمة وتاريخها المجيد وتراثها وعقيدتها وماضيها الحافل والغني بمواقف البطولة والنبل والمآثر الإنسانية العلمية والحضارية المليء بالشخصيات الخالدة التي تركت بصمات لا تُحصى في تاريخ البشرية والإنسانية..

توجيهات للآباء والأمهات:

ينبغي أن نستغل مرحلة الطفولة والمراهقة عند الفتاة كما يريد النظام الإسلامي.. ومن هنا؛ أبين للآباء والأمهات ماذا ينبغي أن يقدموا إلى الفتاة في

سن الخامسة.. والسادسة وكذا السابعة.. والعاشرة..

ألف: في سن الخامسة والسادسة:

في هذه السن تكون الفتاة أكثر انتباهاً وفطنة عما قبل فينبغي أن يستغل الأب والأم هذا الظرف الزمني في حشو فكر الفتاة بأمور منها:

١ ـ حب النبي ﷺ..

٢ ـ حب العترة الطاهرة صلوات الله عليهم.

٣ ـ وتلاوة القرآن الكريم وحفظ بعض سوره القصيرة وجزء عم..

وهذا ما نعيه من قول معلم الأمة الرسول الأكرم ﷺ: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب آل بيته، وتلاوة القرآن».

ونجد أن النبي ﷺ يأمرنا بتعليم الأولاد والبنات هذه الخصال الثلاث لوجود غريزة الحب عند الطفل.. وهو بقوله هذا يوجهنا إلى الطريقة والأسلوب الذي يوجه به غريزة الحب عند الأطفال نحو حب الرسول وأهل بيته صلوات الله عليهم.. بالإضافة إلى استغلاله وجعله يحفظ شيئاً من القرآن الكريم.

باء: في سن السابعة والعاشرة:

في السن بين السابعة والعاشرة نجد الرسول الأكرم ﷺ يضع برنامجاً غاية في الدقة والإحكام وبه ننهي الحديث في هذا الفصل من الكتاب والبحث...

يقول ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء

سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع».

مجمل ما يريده الرسول ﷺ في هذا الحديث ثلاثة أمور:

الأول: يأمرنا أن تعلم الفتاة الصلاة وأحكامها إذا وصلت سن السابعة، وذلك من باب التدريب عليها والتمرين وتعليمها المحافظة على أوقاتها..

الثاني: إذا وصلت الفتاة سن العاشرة أصبح من الواجب علينا إلزامها بالصلاة، واستخدام الشدة معها إذا تهاونت بالصلاة واستخفت بها أو تركتها وذلك لأنها أصبحت والحال هذه مكلفة وبالغة للسن الشرعي..

الثالث: شيء آخر نعيه من كلمة الرسول.. وفرقوا بينهم في المضاجع.. ومعناه استخدموا

الـوقـايـة الجنسيـة لـلأولاد بنـات وذكـور. . بـأن لا تدعوهم في سن العاشرة ينامون في فراش واحد ولا حتى في غرفة واحدة. . وذلك لاحتمال إثارة الغريزة الجنسية. . وترتب الآثار الوخيمة والسلبية عليها وسوء العاقبة. .

* * *

الفصل الرابع

المرأة زوجة

- كلمة قصيرة..
- تمهيد..
- المرأة زوجة..
- حقوق الزوجة..
- سد الجانب الاقتصادي..
- العدل والاحسان..
- المضاجعة..
- الإرث..

«المرأة زوجة»

كلمة قصيرة:

ليس من السابق لأوانه أن تطرح المواضيع بشيء من الإشباع والإطناب والاهتمام حول موضوع حقوق المرأة عندما تصبح زوجة تربطها مع الرجل أواصرُ الزوجية، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تجعل هذه القضية، كقضية هامشية لا قيمة لها ولا وزن..

وإن جعلها البعض قضية هامشية.. فإننا لا

نجدها في قاموس الإسلام قضية هامشية، بل نجدها ذات قيمة وثقل وأهمية.. أولاها النظام الإسلامي أهمية وجعل لها برنامجاً وتنظيماً منقطع النظير..

وفي هذه السطور نقف أمام هذا البرنامج الإسلامي الذي هدفه بالدرجة الأولى إظهار أهمية المرأة كزوجة لها حقوق ولها أهمية كبيرة..

تمهيد:

بعد أن تصل الفتاة إلى سن البلوغ والمراهقة تطرأ عليها تغيرات كثيرة من عدة نواحي:

الأولى: الناحية الجسمية: حيث يبدأ جسم الفتاة في التغير في الطول والعرض ويتخذ شكله الطبيعي كأي امرأة طبيعية.

الثانية: الناحية الاجتماعية والانفعالية.. إذ تبدأ

تشعر بأنها تواجه أمامها حياة ذات أبعاد كثيرة؛ وأنها جزء من المجتمع الذي تعيش فيه، ولا بد أن يكون لها دور تمثله فيه، ولا بد أن تحدد هدفها في الحياة.

الثالثة: الناحية العقلية.. وفيها تقوى غريزة الاطلاع لديها، عن سابقها من الزمن الذي مرت به.. فتبدأ في المحاولة لتصبح مثقفة وواعية بما يدور حولها.. وهذه النواحي الثلاث تحتاج فيها الفتاة إلى توجيه من المحيط الذي تعيش فيه.. لكي تنمو من الناحية الجسمية والاجتماعية، والانفعالية والعقلية، نمواً طبيعياً لا يشوبه الخلل والإنحراف.

وقد نسأل: كيف نوجه الفتاة في هذه النواحي الثلاث؟!.

والجواب:

١ ـ الناحية الجسمية:

ينصح الأطباء في هذه الناحية الفتاة أن تتبع نظاماً دقيقاً في الغذاء الذي تتناوله وهو أن يكون غنياً بالعناصر الغذائية هذا من ناحية الغذاء، ومن ناحية أخرى ينصح الطب الفتاة في هذه المرحلة أن تتبع نظاماً دقيقاً للمحافظة على صحتها العامة، وقد وضع الطب الحديث إرشادات صحية في كيفية الجلوس والمشي مع التشديد على أهمية الراحة الجسدية كالتمتع بالهواء النقي والألعاب الرياضية المختلفة التي يقرها الدين الإسلامي بضابط المحافظة على العفة والحياء والحجاب.

٢ ـ الناحية الاجتماعية الانفعالية:

نجد علماء النفس الإسلاميين ينصحون الفتاة في هذه المرحلة أن تهتم بقضية الصداقة والاختلاط

بالفتيات والنساء المؤمنات الرساليات، اللاتي يحملن تجارب كثيرة من واقع الحياة الأسرية والاجتماعية وذلك لأمور ثلاثة:

الأول: لكي يرشدنها إلى الوجهة الصحيحة ورأي الإسلام...

الثاني: لكي يكنّ مثلاً أعلى في حياتها تحتذي بهن، وتشكو لهن مشاكلها وهمومها المعاشة واليومية..

الثالث: من أجل أن لا تسيطر عليها الانطوائية وتفترسها الأمراض النفسية الفتاكة..

٣ ـ الناحية العقلية:

لا بد أن نوجه الفتاة نحو الطريق الأفضل لتنمية القدرات الفكرية عندها، ونقدم لها ونضع بين يديها

أول ما نضع الثقافة الإسلامية، ومن ثم نبين لها سلبيات المناهج الموضوعة في المدارس والمعاهد؛ والجامعات، ثم نتركها لتنهل العلم والعلوم عن طريق المراحل المعروفة وهي: الابتدائية والمتوسطة والثانوية.. والجامعة لكي تحصل على أكبر قدر من العلوم التي يقرها الفكر الإسلامي ويعترف بمصداقيتها..

المرأة زوجة:

كانت تلك الكلمات السالفة مجرد حزمة من الأضواء مسلطة على شخصية المرأة وهي في سن ما قبل الزواج؛ وقد اتضحت لنا أهم معالم شخصية المرأة.. وبقي علينا أن نتحدث هنا تحت هذا العنوان عن المرأة وهي زوجة وما هي حقوقها التي يكفلها لها الإسلام؟! في البدء.. أقول: إن الدين الإسلامي يرى

بمنظاره الكاشف ورؤيته الثاقبة أن المرأة كزوجة أحد الركنين اللذين تتألف منهما الأسرة.. وما دامت كذلك فلا شك أن لها أهمية كبيرة تتعدى الانجاب والعمل في محيط الأسرة.. والمنزل.. وهذه الأهمية أطلق عليها النظام الإسلامي وأسماها: حقوق الزوجة.

حقوق الزوجة:

فما هي يا ترى حقوق الزوجة؟! وكيف؟ وأين؟ أسئلة تدور في رأس كل باحث عن الحقيقة، حقيقة حقوق الزوجة في النظام والأيدلوجية الإسلامية..

يقول تعالى عز اسمه: ﴿**وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء**﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

وقوله سبحانه وتعالى هذا، مدعاة إلى قيمة الزوجة وأهميتها بالنسبة إلى الزوج...

ويقول تعالى عز اسمه: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن..﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٧].

وهنا يذكر القرآن الكريم أهمية أخرى للزوجة وهي عبارة عن عنصر هام بالنسبة للزوج.. وتتركز أهميتها في سد الفراغ العاطفي الذي يفتقر إليه الرجل.. وقد عبر عنه القرآن باللباس. لما بينهما من وجه شبه قريب إذ أن الجسد يحتاج إلى لباس.. وحاجته إلى اللباس من نواح كثيرة: كساتر للعورة، وكدفء من البرد، وكواق من الحر والهجير.. وكذلك المرأة فإنها تستر عورة الرجل وهو يستر عورتها، وتدفئه بكلمات العطف والحنان ويدفئها وتقيه من الانحراف ويقيها..

فبالتالي، تصبح لها أهمية كبيرة عند الزوج.. وفي هذا المقام لا يفوتنا أن نذكر أهم الحقوق للزوجة التي ينبغي أن تؤدى إليها بإخلاص وتفانٍ كيما تعيش

حياة رغيدة تنعم فيها بالدفء وتنعم بالاستقرار في عش الزوجية . .

سد الجانب الاقتصادي:

أو ما أسماه الفقهاء في عرفهم (النفقة) وقد استنبطوا رضوان الله تعالى عليهم ـ هذا الحق للزوجة من أقوال وأحاديث وروايات المعصوم عليه السلام كقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «حق المرأة على زوجها أن يسد جوعتها وأن يستر عورتها . . » ـ.

إذ في هذا الحديث يذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حق الزوجة على زوجها من الجانب الاقتصادي وهذا ما نعيه من قوله:

أولاً: يسد جوعتها . . أي يوفر لها الغذاء الذي يغذي جسمها ويدفع عنها سوء التغذية.

ثانياً: يستر عورتها.. أي يوفر الزوج لزوجته اللباس الذي يتناسب والظروف التي تعيشها من برد أو حر..

ولا تقف نفقة الزوجة عند قضية الملبس والمأكل بل أيضاً المسكن إذ هو من أوليات حقوقها، ولها أن تطالب بالانفراد فيه وعدم مشاركة غيرها فيه ضماناً لحريتها ورغبتها..

بالإضافة إلى (الخادم) إذا كانت منزلتها الاجتماعية تقتضي أن يكون لها خادم..

وكذلك يدخل تحت عنوان النفقة وسائل الزينة حسب ظروف الزوجة وبيئتها الخاصة..، كما تدخل تحت هذا العنوان وسائل العلاج إن احتاجت الزوجة إلى علاج.. من الطبيب والدواء والكشوف وسائر الوسائل العلاجية التي يفرضها المرض، ومهما كانت

الزوجة على ثراء وذات مستوى اقتصادي رفيع فإنها ليست مسؤولة عن الإنفاق على نفسها وإنما يلزم بإداء ذلك الزوج. .

العدل والإحسان:

ومنشأ هذا الحق قوله تعالى: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾ [سورة النساء، الآية: ١٩].

ومعناه ومفاده أن يتعامل الزوج مع زوجته ضمن إطار الأخلاق والقيم، ويستخدم معها الكلمات التي تفوح منها رائحة الود والعطف والرحمة كأن يقول لها: أنا أحبك. . وأنت أغلى شيء عندي في الدنيا ولا أبقاني الله إن لم تكوني بجانبي. . . وما أحلى ما ورد عن إمامنا السجاد عليه السلام في رسالته إلى الأجيال الصاعدة ـ رسالة الحقوق، في حق الزوجة قال عليه السلام:

«.. وحق الزوجة أن تعلم أن الله عز وجل، جعلها لك سكناً وأنساً، وتعلم أن ذلك نعمة من الله تعالى عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب فإنّ لها عليك أن ترحمها لأنها أسيرك وتطعمها وتكسوها فإذا جهلتْ عفوت عنها...» ـ.

المضاجعة:

ومن حقوق الزوجة على زوجها مضاجعته لها، ونومه معها في فراش واحد، ومن المؤكد أن هذا القرب الجسدي، مما يوجب شيوع المودة والمحبة بينهما؛ وقد أوجب الإسلام على الزوج أن يصرفَ مع الزوجة ليلة واحدة من كل أربع ليالي، كما أوجب لها عليه حق الاتصال الجنسي في كل أربعة أشهر مرة واحدة.. وبهذا تكفل النظام الإسلامي للمرأة بتأمين غريزة الجنس وتنظيم فورة بركانه..

وفي منح الزوجة ليلة من أربع راعى الإسلام الحنيف حق كل من الزوج والزوجة:

فأولاً: الزوج فيما لو استدعته الحاجة لأن يتخذ له أربع زوجات..

وثانياً: الزوجة من ناحية تطمينها نفسياً وجنسياً.. ولا خلاص للزوج من هذا الحق إلا باسترضاء الزوجة.. نعم هناك حالات استثنائية تعفي الزوج من هذا الحق كالمرض والسفر.

الإرث:

لم ينس النظام الإسلامي أن يجعل فرضاً في القرآن من التركة للزوجة.. فقد قال القرآن: **﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو**

دين. . ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٢].

ونعي من هذه الآية الكريمة أن الإسلام قد أحكم حالة الزوجة الاقتصادية إحكاماً تاماً، إذ خوّل لها حقوقاً واسعة في الميراث، فهي ترث زوجها وتجتمع مع كل وارث نسبياً كان أو سببياً، ولا يحجبها عن حقها حاجب من طبقات الورثة.

وهي ترث أباها وأولادها وغيرهم ممن تستحق الإرث عنهم بنسب أو سبب، والحق أن جميع القوانين في العالم ـ ما خلا الإسلام ـ قد أضعف المرأة من الجهة الاقتصادية، وقد كان هذا العجز الاقتصادي في المرأة أكبر أسباب عبوديتها، وأرادت أوربا في العهد القريب أن تبدّل هذه الحالة ولكن بأن تجعل المرأة عضواً كاسباً في المجتمع فأدى الأمر إلى مفسدة أخرى أكبر من الأولى. .

* * *

الفصل الخامس

المرأة أم

- تمهيد..
- حقوق الأم في الإسلام..
- مقتطفات من الشعر في الأم..

«المرأة أم»

تمهيد:

لعل من أعظم الأمور التي دعا لها الدين الإسلامي، هو أمر العبادة التي تكون خالصة لوجه الله تعالى، فنجد في القرآن الكريم كثيراً من الآيات تصرح بعبادة الله الواحد الأحد.. كقوله تعالى ﴿ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذيرٌ وبشير..﴾ [سورة هود، الآية: ١٢].

وقوله ﴿ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ٢١].

وهذه الآيات إن دلت على شيء إنما تدل بمادتها على أهمية وقيمة وثقل العبادة لله تعالى والحرص عليها . .

ولكن العجيب أننا نجد في آية من الآيات قد قرن مع العبادة مع أهميتها وعظمة قيمتها شيء آخر وهو بر الوالدين والإحسان إليهما وذلك قوله تعالى: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً . .﴾** [سورة الاسراء، الآية: ٣٢ ـ ٣٤].

فنجد في قوله تعالى: **﴿ألا تعبدوا إلا إياه . .﴾** أمراً بالحرص والمحافظة على قضية العبادة لله تعالى . . وفي قوله تعالى: **﴿وبالوالدين احساناً . .﴾** أمراً آخر بالحرص والمحافظة على الإحسان إلى

الوالدين وبرهما . .

وقد يتبادر إلى أذهاننا سؤالٌ مؤداه: . . أي الأبوين أحق بالبر أكثر . . الأم أو الأب؟! .

الجواب:

هذا السؤال طرحه أحد المسلمين الأوائل ممن عاصروا الرسول الأكرم ﷺ ، وكانت صيغته:

يا رسول الله من أبر؟! .

قال ﷺ : أمك . .

ثم سأل الرجل: ثم من؟ .

فأجابه الرسول: أمك . . ! .

ثم سأل الرجل: ثم من؟ .

فأجاب ﷺ بقوله: أباك . .

ونعي من جواب الرسول ﷺ هذا . . : أن

للأم على الولد حق أعظم من حق الأب.. على ولده..

ويؤيد قول الرسول ﷺ ما جاء في كتاب الله عز وجل من التركيز على الإحسان للأم قوله تعالى:

﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً، حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ١٥].

إذ جاء في تفسير هذه الآية في (تفسير الصافي) قوله: ذلك كله ـ أي ما جاء في الآية ـ بيان لما تكابده الأم في تربية الولد مبالغة في التوصية بها..

وأعظم ما نجده في الآية المباركة التركيز على قضية الحمل للولد، وهذا يعني أن أعظم مشقة تتحملها الأم وتحملها هي حين تحمل الولد في بطنها.. وقد تتصور أن هذا العمل سهلٌ ولكن «علم الأجنة» يكشف لنا في عملية الحمل طرفاً جسيماً

ضخماً نبيلاً في صورة حسية مؤثرة.. فيقول هذا العلم:

«إن البويضة منذ أن تلتقي لقاحاً بالخلية المنوية تسعى للالتصاق بجدار الرحم، مزودة بخاصية أكالة تمزق جدار الرحم الذي تلتصق به وتأكله فيتوارد دم الأم إلى موضعها حيث تسبح هذه البويضة الملقحة دائماً في بركة من دم الأم الغني بكل ما في جسمها من عصارات وخلاصات، وتمتصه لتحيا به وتنمو، وهي كأكلة دائبة الأكل لجدار الرحم دائمة الامتصاص لدم الحياة، فالأم تأكل وتشرب وتهضم لتصب هذا كله دماً نقياً غنياً لهذه البويضة الأكالة، وفي فترة تكوين عظام الجنين يشتد امتصاصه للجير من دم الأم، فهي تفتقر إلى جير بعد جير، حيث تعطي محلول عظامها في الدم ليقوم به هذا الهيكل الصغير، وهذا قليل من حملها الكثير» وإضافة إلى هذا نجد في الآية المباركة

«أن تنوين التنكير لـ «كرهاً» يوحي بنكارة الحمل في زاويتيه هاتين، وعله المعنى «من وهناً على وهن» هناك وهن الثقل على ذلك الوهن، بعد الذي ذاقته حين الحمل، ولأنه مجبول باللذة لم يحسب له هنا حساب فلم يثلث الوهن، وإنما «وهنا على وهن» يساوي قوله «كرهاً». . !.

«ووضعته كرهاً» تكره فيه الأم حتى نفسها، دون أن تكره ثمرتها، رغم أنها تذوي وتموت وتتمزق، وتذوب ولكنها أم، حنونة عطوفة لحملها، لحد أنها ترضى أن تموت ويحيا الحمل أو تتأذى هي والحمل سليم. . فيا لهذه الوالدة التي تحمل حملها كرهاً «وهناً على وهن» وتضعه كرهاً، مثمرة حملها في مثلث الوهن، ومربعة لوهنها في رضاع الحمل، أن تمتص ثمرة قواها، وحصيلة طاقتها بعد الوضع، وكما كان قبل الوضع فهل له أن يجازيها أقل جزاء،

ولو بأكثر الإحسان كلا ثم كلا . . .

ولقد صدق الصادق الأمين النبي الأكرم ﷺ إذ قال: «. . لا ولا بزفرة واحدة. . !».

وقد جاءه رجل كان في الطواف حاملاً أمه يطوف بها فسأله يا رسول الله: هل أديت حقها؟!.

وبعد أن عرفنا هذا في ضوء الآية المباركة نرجع إلى موضوعنا ومحور بحثنا في هذا الفصل الأخير من البحث وهو. . (المرأة أم). . ونريد إلقاء الضوء في هذه الأسطر الأخيرة على أهم حقوق المرأة. . إذ أصبحت أماً وحاضنة للأولاد. . وتحت العنوان التالي نذكر أهم هذه الحقوق. .

حقوقُ الأم في الإسلام:

مما تقدم نعي أن الأم تقدم للولد خدمات لا

يستطيع أداء ولا «زفرة أو طلقة من زفرات وطلقات الولادة» على حد تعبير أكرم الرسل طه صلى الله عليه وآله وسلم . .

وما دامت كذلك فإن لها لا شك كثيراً من الحقوق يجب ولا يسمح بأي حال ـ في العقيدة الإسلامية ـ أن يتهاون الولد في أدائها وتقديمها لأمه . . ولعلنا نسأل ما هي أهم وأبرز حقوق الأم؟! .

الجواب:

إن للأم على الولد عدة حقوق، فهو مدين لها منذ كونه (نطفة من مني يمنى)، إلى أن أصبح إنساناً كامل الأطوار والنمو . . وما ذكره الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق هو أهم هذه الحقوق . . إذ قال عليه السلام : « . . فحق أمك»:

١ ـ أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحدٌ أحداً . .

٢ ـ وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحدٌ أحداً.

٣ ـ وأنها وقتك بسمعها وبصرها، ويدها ورجلها، وشعرها وبشرها، وجميع جوارحها.. مستبشرة فرحة، محتملة لما فيه مكروهاً وألمها وثقلها وغمها حتى دفعتك عنها يد القدرة.. وأخرجتك إلى الأرض..

٤ ـ فرضيت أن تشبع وتجوع.. هي.

٥ ـ وتكسوك وتعرى..

٦ ـ وترويك وتظمأ..

٧ ـ وتظلك وتضحى..

٨ ـ وتنعمك ببؤسها..

٩ ـ وتلذذك بالنوم بأرقها.. وكان بطنها لك

وعاء وحجرها لك حواء، وثديها لك سقاء، ونفسها لك وقاء، تباشر حر الدنيا وبردها لك ودونك، فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلا بعون الله».

ومعنى قوله عليه السلام هذا في حق الأم، وتفصيله لما قدمت من عطاء للابن يريد عليه السلام من وراءه أن يقول لنا:

أولاً: أن نعي وندرك مقدار وقيمة الخدمات الجليلة التي قدمتها لنا الأم من حمل ورضاع ومحافظة دقيقة غاية في الدقة..

ثانياً: أن نسعى جاهدين، بل نبذل قصارى جهادنا وجهدنا لنوفق في أداء وإسداء كل ما نستطيع إسداءه من خدمات للأم الحنون ونحيطها بهالة من القدسية والاحترام والتقدير.

وفي نهاية هذا الفصل ـ وهو آخر فصول

الكتاب ـ أذكر بعض النصوص الواردة في بر الأم وأتبعها ببعض المقتطفات من الشعر . .

أربعة نصوص نبوية في بر الأم:

واحد: قوله ﷺ : «الجنة تحت أقدام الأمهات» .

اثنين: وقوله ﷺ : «حق الوالد أن تطيعه ما عاش، وأما حق الوالدة فهيهات هيهات لو أنه عدد رمل عالج وقطر المطر أيام الدنيا قام بين يديه ما عمل ذلك يوماً حملته في بطنها . . » .

ثلاثة: وشكى رجل إلى رسول الله ﷺ سوء خلق أمه فقال ﷺ : «إنها لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر، وحين أرضعتك حولين، وحين سهرت لك ليلها، وأظمأت نهارها . . فقال الرجل:

إني جازيتها وحججت بها على عاتقي فقال ﷺ : ما جازيتها ولا طلقة . . ».

أربعة: وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الوالدين أعظم حقاً؟!.

فقال ﷺ : «التي حملته بين الجنبين وأرضعته الثديين وحضنته على الفخذين وفدته بالوالدين . . ».

مقتطفات من الشعر في بر الأم:

قال بعض الشعراء يصور قساوة قلب الولد ورقة قلب الأم:

أغرى امرىءٌ يوماً غلاماً جاهلاً … في أمره حتى ينال به الوطر
قال أئتني بفؤاد أمك يا فتى … ولك الجوائز والجواهر والدرر
فمضى وأغرز خنجراً في صدرها … والقلب أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من فرط سرعته هوى … فتمزق القلب المعفر إذ عثر

نـاداه قلـب الأم وهـو معفـرٌ ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر
فكـأن هـذا الصـوت رغـم حنـوه غضب السماء به على الولد انهمر
ودرى فضيـع خيـانـة لـم يـأتهـا ولـد سـواه منـذ تـاريـخ البشـر
فـارتـد نحـو القلـب يغسلـه بمـا فاضت به عيناه من سيل العبر
ويقـول يـا قلـب انتقـم منـي ولا تغفـر فـإن جـريمتـي لا تغتفـر
وإذا صفحـت فـإنني أقضـي أنتحـا رأمثل ما (يوضاض) من قبلي انتحر
واستـل خنجـره ليطعـن قلبـه طعنـاً فيبقـى عبـرة لمـن اعتبـر
نـاداه قلـب الأم كـف يـداً ولا تذبح فؤادي مرتين على الأثر

وقال الألوسي في تفسيره روح المعاني:

لأمك حق لو علمت كبير كثيرك يا هذا لديه يسيرُ
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي لهـا مـن جـزاهـا أنـة وزفيرُ

وقال معروف الرصافي شاعر الرصافة:

أوجب الواجبات إكرام أمي إن أمـي أحـق بـالإكـرام
حملتني ثقلاً ومن بعد حملي أرضعتنـي إلـى أوان فطـامـي

ورعتني في ظلمة الليل حتى تركت نومها لأجل منامي

وفي ختام هذا البحث أحمد الله على توفيقه وأقول كما قال القرآن: ﴿**وآخر دعواهم أن الحمد لله ربِّ العالمين**﴾ [سورة يونس، الآية: ١٠].

❁ ❁ ❁

«الفهرس»

الإهداء ٥

تمهيد ٧

الفصل الأول: المرأة في التاريخ ٩

سبع نظريات في المرأة ١٥

المرأة عند بعض الأمم والجماعات البشرية ٢٢

الفصل الثاني: المرأة في ظل النظام الإسلامي . . ٢٩

كلمة قصيرة ٣١

المرأة والإسلام ٣٢

المرأة في القرآن ٣٥
المرأة في كلام المعصوم ٤١
الفصل الثالث: المرأة فتاة ٤٥
كلمة قصيرة ٤٧
الفتاة مولود جديد ٤٨
الفتاة تحت مظلة التربية الإسلامية ٥٩
توجيهات للآباء والأمهات ٦٣
الفصل الرابع: المرأة زوجة ٦٩
كلمة قصيرة ٧١
تمهيد ٧٢
المرأة زوجة ٧٦
حقوق الزوجة ٧٧
سد الجانب الاقتصادي ٧٩
العدل والاحسان ٨١
المضاجعة ٨٢

الإرث . . . .
الفصل الخامس: المرأة أم ٨٥
تمهيد ٨٧
حقوق الأم في الإسلام ٩٣
أربع نصوص نبوية في بر الأم ٩٧
مقتطفات من الشعر في بِرْ الأم ٩٨
الفهرس ١٠١